

روح المعاني

وإنما أستطردت هذا المبحث هنا مع تقدم إشارات جزئية إلى بعض منه لأنه أمر مهم جدا لا ينبغي الغفلة عنه فأحفظه فإنه من بنات الحقائق لا من حوانيت الأسواق والله تعالى الموفق لارب غيره .

ومن كفر فإن الله غني عن العالمين 79 يحتمل أن يراد بمن كفر من لم يحج وعبر عن ترك الحج بالكفر تغليظا وتشديدا على تاركه كما وقع مثل ذلك فيما أخرجه سعيد بن منصور وأحمد وغيرهما عن أبي أمامة من قوله صلى الله عليه وسلم : من مات ولم يحج حجة الإسلام لم يمنعه مرض حابس أو سلطان جائر أو حاجة ظاهرة فليمت على أي حالة شاء يهوديا أو نصرانيا ومثله ما روى بسند صحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه قال : لقد هممت أن أبعث رجلا إلى هذه الأمصار فلينظروا كل من كان له جدة فلم يحج فيضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين ويحتمل إبقاء الكفر على ظاهره بناء على ما أخرج ابن جرير وعبد بن حميد وغيرهما عن عكرمة أنه لما نزلت ومن يبتغ غير الإسلام دينا الآية قال اليهود : فنحن مسلمون فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى فرض على المسلمين حج البيت فقالوا لم يكتب علينا وأبوا أن يحجوا فنزل ومن كفر الآية .

ومن طريق الضحاك أنه لما نزلت آية الحج جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الملل مشركي العرب والنصارى واليهود والمجوس والصابئين فقال : إن الله تعالى قد فرض عليكم الحج فحجوا البيت فلم يقبله إلا المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا : لا نؤمن به ولا نصلي إليه ولا نستقبله فأنزل الله سبحانه ومن كفر إلخ وإلى إبقائه على ظاهره ذهب ابن عباس فقد أخرج البيهقي عنه أنه قال في الآية : ومن كفر بالحج فلم ير حجه برا ولا تركه مأثما وروى ابن جرير أن الآية لما نزلت قام رجل من هذيل فقال : يا رسول الله من تركه كفر قال : من تركه لا يخاف عقوبته ومن حج لا يرجو ثوابه فهو ذاك وعلى كلا الإحتمالين لا تصلح الآية دليلا لمن زعم أن مرتكب الكبيرة كافر ومن تحتمل أن تكون شرطية وهو الظاهر وأن تكون موصولة وعلى الإحتمالين أستغنى فيما بعد الفاء عن الرابط بإقامة الإظهار مقام المضمرة إذ الأصل فإن الله غني عنهم .

ويجوز أن يبقى الجمع على عموميه ويكتفي عن الضمير الرابط بدخول المذكورين فيه دخولا أوليا والإستغناء في هذا المقام كناية عن السخط على ما قيل ولهذا صح جعله جزاء وإن أبيت فهو دليله وفي الآية كما قالوا فنون من الإعتبارات المعربة عن كمال الإعتناء بأمر الحج والتشديد على تاركه مالا مزيد عليه وعدوا من ذلك إثارة صيغة الخبر وإبرازها في

صورة الجملة الأسمية الدالة على الثبات والدوام على وجه يفيد أنه حق واجب ﷻ تعالى في ذمم الناس وتعميم الحكم أولا وتخصيصه ثانيا وتسمية ترك الحج كفرا من حيث أنه فعل الكفرة وذكر الإستغناء والعالمين .

وذكر الطيبي أن في تخصيص أسم الذات الجامع وتقديم الخبر الدلالة على أن ذلك عبادة لا ينبغي أن تختص إلا بمعبود جامع للكمالات بأسرها وأن في إقامة المظهر وهو البيت مقام المضرر بعد سبقه منكر المبالغة في وصفه أقصى الغاية كأنه رتب الحكم على الوصف المناسب وكذا في ذكر الناس بعد ذكره معرفا الأشعار بعلية الوجوب وهو كونهم ناسا وفي تذييل ومن كفر فإن ﷻ غني عن العالمين لأنها في المعنى تأكيدا لإيدان بأن ذلك هو الإيمان على الحقيقة وهو النعمة العظيمة وأن مباشره مستأهل لأن ﷻ تعالى بجلالته وعظمته يرضى عنه رضا كاملا كما كان ساخطا على تاركة سخطا عظيما وفي تخصيص هذه العبادة وكونها مبينة لملة